أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: موضوعنا اليوم بإذن الله في الخطبة الأولى عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إنه رجل عظيم القدر، رفيع المنزلة، عَبَدَ الله متأسيًا برسول الله ﷺ، وجاهد في الله، وأنفق كل ماله في سبيل الله.

نصر الرسول ﷺ يوم خذله الناس، وآمن به يوم كَفَرَ به الناس، وصَدَّقَه يوم كَذَّبَه الناس. جهل فعله الكثير من أبناء المسلمين وبخسوه حقه وهضموه منزلته ولم يقدروه قدره.

لم يتجاهله العامة فحسب! بل تجاهله الخاصة من الخطباء والوعاظ والدعاة

والكتاب!؛ ربما لأنه عظيم بجوار من هو أعظم؛ وكريم بجوار من هو أكرم؛ فطغت عظمة صاحبه ﷺ وقدره ومنزلته على عظمته وقدره ومنزلته.

* إنه أفضل الصحابة بلا خلاف، ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل خير منه!.

* إنه أول من آمن من الرجال على الصحيح. إنه مَن وُزن إيمانه بإيمان الأمة فرجح إيمانه.

* إنه الورع الحيي، الحازم الرحيم، التاجر الكريم، صاحب الفطرة السليمة من أدران الظلام والجاهلية. كان شبيهًا بالرسول ﷺ، وأنعِم به من شبه.

* إنه رجل لا كالرجال، وسيرة لا كالسير.

* إنه من دُعي إلى الإسلام فما كبا ولا نبا ولا تردد. وإنما بادر إلى الإسلام وما تلعثم.

وما كان لأصحاب الفطر السليمة أن يتلعثموا عن خيرٍ دعوا إليه.

وكيف لا يبادر إلى الإسلام وقد صحب رسولَ الله ﷺ قبل البعثة وعلم صدقه وأمانته وحسن سجاياه وكرم خلقه.

علم أنه لا يكذب على الخلق فكيف يكذب ﷺ على الخالق- جل وعلا-!لذا كان لسان حاله يوم دُعِيَ إلى الله من جانب رسول الله ﷺ: ما جربت عليك كذبًا قط.

أما لسان مقاله: فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فتمتد يده إلى المصطفى ﷺ لتبايعه فتكون أول يد تمتد إلى الحبيب ﷺ[1].

وها نحن من خلال تلك السطور على موعد مع نبذة صغيرة من فضائله ومواقفه التي سطرها على جبين التاريخ بسطور من نور.

(١) من شريط «صور وعبر» للشيخ/ علي القرني.

أما نسبه: فهو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصِّدِّيق بن أبي قحافة[١].

ولد بمني، وهو يلتقي في النسب مع رسول الله ﷺ في «مرة».

تزوج في الجاهلية امرأتين- قُتيلة بنت عبد العزى، وأم رومان بنت عامر.

وتزوج في الإسلام امرأتين- أساء بنت عميس، وحبيبة بنت خارجة بن زيد.

لقد كان الصِّدِّيق رضي الله عنه مثاليًا في كل شيء حتى في أيام الجاهلية، فلا عجب أن تراه بعد إسلامه أفضل رجل بعد رسول الله ﷺ؛ فقد قال ﷺ: «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»[٢].

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رجلًا مُؤلفًا لقومه مُحببًا سهلًا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلًا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه[٣].

وها هو رضي الله عنه تراه قد حرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يشربها قط لا في الجاهلية، ولا في الإسلام، وذلك أنه مر في الجاهلية برجل سكران يضع يده في العذرة (الغائط) يدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صدف عنها فحرمها أبو بكر على نفسه.

ولم يسجد رضي الله عنه لصنم قط.

قال أبو بكر رضي الله عنه في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشُّم العوالي، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم، وقلت: إني

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٢٥ - ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم «صحيح الجامع» (٣٢٦٧).

(٣) «السيرة لابن هشام» (١/ ٢١١).

جائع فأطعمني، فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه[١].

أما إسلامه رضي الله عنه فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قال أبو بكر: أَلَسْتُ أحقَّ الناس بها؟ (أي: الخلافة) ألست أول من أسلم؟ أَلَسْتُ صاحب كذا؟ أَلَسْتُ صاحب كذا؟»[٢].

قال الإمام السيوطي: وقيل إن أول من أسلم «علي» وقيل: «خديجة» وجُمع بين الأقوال بأن «أبا بكر» أول من أسلم من الرجال، «وعلي» أول من أسلم من الصبيان، و«خديجة» أول من أسلمت من النساء.

وأول من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة-رحمه الله- [٣].

وما أن أسلم أبو بكر رضي الله عنه حتى حمل أمانة الدين على عنقه وخرج يدعو الناس إلى دين الله - جل وعلا - فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة فيما بعد.

فيأتي الصِّدِّيق رضي الله عنه يوم القيامة وهم في ميزان حسناته. بل وأسلم على يديه خلق كثير غير هؤلاء الأطهار الأبرار.

وهكذا يجب أن يكون الداعية، يحمل هَمَّ الناس من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم إلى مرضات الله وجنته.

ومن المناقب الجميلة التي لُقِّبَ بها أبو بكر «عتيقًا» فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أبشر، أنت عتيق الله من النار» قلت: فمن يومئذ سُمي عتيقاً[٤].

وأما فضائل الصِّدِّيق رضي الله عنه فكثيرة؛ ومنها ما أورده ابن القيم - رحمه الله - في

---

(١) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٣/ ٣١)ط. المكتب الإسلامي.

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني -رحمه الله - في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨٩٨).

(٣) تاريخ الخلفاء (صـ٣٤).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٧٩) وصححه الألباني في «الصحيحة».

قوله: فهو خيرٌ من مؤمن آل فرعون؛ لأن ذلك كان يكتم إيمانه والصِّدِّيق أعلن به. وخيرٌ من مؤمن آل ياسين؛ لأن ذلك جاهد ساعة والصِّدِّيق جاهد سنين.

عاين طائر الفاقة يحوم حول حُبِّ الإيثار ويصيح: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[البقرة:٢٤٥].

فألقى له حَب المال على روض الرضى، واستلقى على فراش الفقر، فنقل الطائر الحَب إلى حويصل المضاعفة ثم علا على أفنان شجرة الصدق يغرد بفنون المدح، ثم قام في محاريب الإسلام يتلو: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[الليل: ١٧، ١٨].

نطقت بفضله الآيات والأخبار، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار.

فيا مبغضيه في قلوبكم من ذكره نار، كلما تليت فضائله علا عليهم الصغار.

أترى لم يسمع الروافض قول الله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

دُعِيَ إلى الإسلام فما تلعثم ولا أبى، وسار على المحجة فما زل ولا كبا، وأكثر في الإنفاق فما قلل حتى تخلل بالعبا - أي: حتى تُوفي - تالله لقد زاد على السبك في كل دينار دينار﴿ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ﴾[التوبة: ٤٠].

مَن كان قرين النبي في شبابه؟.

مَن ذا الذي سبق إلى الإيمان من أصحابه؟.

مَن الذي أفتى بحضرته سريعًا في جوابه؟.

مَن أول من صلى معه؟ مَن آخر من صلى به؟ من الذي أضجعه؟! بعد الموت في ترابه؟ فاعرفوا حق الجار؟ نهض يوم الردة بفهم واستيقاظ، وأبان من نص الكتاب معنى دق عن حديد الألحاظ. فالمحب يفرح بفضائله، والمبغض يغتاظ. قلتُ ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد الله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

عباد الله، ومن فضائل الصِّدِّيق رضي الله عنه بذل المال والنفس، وكان أخص به في حياته - يا عجبًا- من يغطي عين ضوء الشمس في نصف النهار، لقد دخلا غارًا لا يسكنه لابث، فاستوحش الصِّدِّيق من خوف الحوادث، فقال الرسول ﷺ: «**ما ظنك باثنين والله الثالث**»، فنزلت السكينة، فارتفع خوف الحادث، فزال القلق، وطاب عيش الماكث، فقام مؤذن النصر ينادي على رؤوس منابر الأمصار: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾[التوبة:٤٠].

حُبه - والله- رأس الحنيفية، وبغضه يدل على خبث الطوية. فهو خير الصحابة والقرابة، والحجة على ذلك قوية، والله ما أحببناه لهوانا، ولا نعتقد في غيره هوانا، ولكن أخذنا بقول «علي» وكفانا «رضيك رسول الله لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا»[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلى: أبو بكر رضي الله عنه.

ثم تمثل بأبيات حسان:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة لأهلِه ... فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلا النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده أفضلُ قائدِ ... وأول الناس حقًّا صَدَّقَ الرسلا

ولقد ذكر أهل العلم بالتواريخ والسير أن أبا بكر شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وجميع المشاهد، ولم يفته منها مشهد، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك، وأنه كان يملك يوم

---

(١) «الفوائد لابن القيم» (صـ١١١: ١١٣) [ط. دار الخاتمي].

أسلم أربعين ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوي المسلمين، وهو أول من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية، والإسلام وهو أول من قاء تحرجًا من الشبهات[١]

عباد الله: تالله إني لأجد نفسي عاجزًا عن الحديث عن فضائل الصِّدِّيق رضي الله عنه ولكن حسبنا منها القليل، فالقليل منها كثير وكثير.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أَمَنَ الناس عَلَيَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر (أي: أكثرهم رحمة)، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب...**»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الدرجات العلى ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر، منهم، وأنعما»[٤].

وقال النبي ﷺ: «**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها إلَّا الصِّدِّيق، فإن له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله**»[٥].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكرٍ وعمر مِنْ هَذَا**

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٩٧، ٩٩) [ط - دار ابن خلدون].

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) ومسلم (٢٣٨٢).

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩٥).

(٤) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣٠).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٦٢) «المناقب»، وصححه الألباني في «سنن الترمذي» (٢٨٩٤).

الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ مِنَ الرَّأْسِ»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بِاللذينِ من بعدي من أصحابِي؛ أبِي بكر وعمر..»[٢].

وعن أبي بكر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن أبو بكر وعمر، فرجح أبو بكر بعمر، ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه النبي ﷺ»[٣].

وهنا يظهر فضيلة أبي بكر على عمر فمن دونه، وقوله: «فرأينا الكراهة في وجه رسول الله ﷺ» قال في تحفة الأحوذي: وذلك لما علم ﷺ من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الأمور، وظهور الفتن بعد خلافة عمر ومعنى رجحان كل من الآخر أن الراجح أفضل من المرجوح.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي»[٤].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أبو بكرٍ في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زَيد بنِ عمرِو بنِ نفيلٍ في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراحِ في الجنّة»[٥].

---

(١) قال الألباني في «الصحيحة» (٨١٥): هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات.

(٢) رواه الترمذي عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٤٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٣٤) في «السنن» وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٧٥).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٦٦) «المناقب» وقال الألباني في «الصحيحة» (٨٢٤): إن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب.

(٥) رواه الترمذي(٣٧٤٨) «المناقب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»(٥٠).

وعن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما!»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نُخَيِّرُ بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد «أحدًا» وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري!. وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث! قال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ: فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما»[٥].

وقوله: «من لها يوم السبع» معناه: من لها يوم يطرقها السبع - أي: الأسد - فتفر أنت منه فيأخذ منها حاجته، وأتخلق أنا لا راعي لها حينئذ غيري، وقيل: إنما يكون ذلك عند الاشتغال بالفتن؛ فتصير الغنم هملًا فتنهبها السباع؛ فيصير الذئب كالراعي لها لانفراده بها[٦].

وعن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكنفه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٥٣).

(٣) رواه أحمد(٢/ ٢٥٣)، وابن ماجه (٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٦) «فتح الباري» (٧/ ٢٧).

الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي! فإذا علي بن أبي طالب؛ فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[1].

اللهم ألحقنا بالصالحين ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم ، وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بفضلك ومَنِّك وجودك يا أكرم الأكرمين، اللهم من ولي أمر المسلمين فَيَسِّر لهم فيسِّر أمره وأصلح شأنه، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه يا سميع الدعاء، اللهم انصر الإسلام وأهله، واخذل الشرك وأهله، اللهم أحينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. وقوموا إلى صلاتكم.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه عباد الله: أما منزلة الصِّدِّيق عند رسول الله ﷺ كالآتي: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» (ثلاثًا) ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ يعني هل أبو بكر هنا – قالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر جثا على ركبتيه فقال: يا

رسول الله، أنا كنت أظلم، أنا كنت أظلم.

فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي!» فما أذوي بعدها[1].

وعن محمد بن سيرين قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله لم يكن شاب إلا يسيرًا، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضَّبا بالحنا والكتم قال: وجاء أبو بكر بأبيه «أبي قحافة» إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه، مكرمة لأبي بكر». فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة بياضًا فقال رسول الله ﷺ «غيروهما وجنبوه السواد»[2].

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» فقلتُ: من الرجال؟ قال: «أبوها»[3].

ومن فضائل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أنه يُدعى من أبواب الجنة الثمانية فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة. يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومَنْ كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الصيام، وباب الريان». فقال أبو بكر: ما على هذا الذي دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: وهل يُدْعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١).
(٢) رواه أحمد (٣/ ١٦٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٩٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥).
(٤) أخرجه البخاري، ومسلم(٣٦٦٦).

يقول ابن القيم -رحمه الله- عن أبواب الجنة في «نونيته»:

ولسوف يُدعى المرء من أبوابها جمعًا إذا وَفَّى حُلَى الإيمان
منهم أبو بكر هو الصِّدِّيق ذا ك خليفة المبعوث بالقرآن

أما محبة الصِّدِّيق الشديدة للحبيب ﷺ فلقد أحب أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ حبًّا ملك عليه لبه وفؤاده وجوارحه، حتى إنه كان يتمنى أن يفدي النبي ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين.

تقول عائشة رضي الله عنها: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنا قليل». فلم يزل أبو بكر يُلِحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله، وإلى رسول الله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضُربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطيء أبو بكر، وضُرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفها لوجهه، ونز (أي: وثب) على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم (قوم أبي بكر) يتعادون، فأجلت قريش عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكُّون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا، وقال لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه.

فلما دخلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ .

فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد

الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبابكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع؟ قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله علي ألا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا، حتى آتي رسول الله ﷺ.

فأمهلتاه حتى هدأت الرِّجل وسكن الناس خَرَجَتَا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله! ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت»[1].

عباد الله: ومن المواقف المشرفة في دفاع الصِّدِّيق رضي الله عنه عن النبي ﷺ ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[غافر:٢٨][2].

ومن المناقب التي اشتهر بها أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إنفاقه في سبيل الله قال ﷺ: «ما أحد أعظم عندي يدًا من أبي بكر واساني بنفسه وماله، وأنكحني ابنته»[3].

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩ - ٣٠) بسند رجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٥٦).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥١٧).

وقال ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه، ما خلا أبابكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن صاحبكم خليل الله»(١).

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفًا، فأنفقها في سبيل الله، واعتق سبعة كلهم يعذب في الله، أعتق بلالًا، وعامر ابن فهيرة، وزنيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

قال الإمام القرطبي: والأكثرون أن السورة نزلت في أبي بكر رضي الله عنه. فأي منقبة أعظم من هذه المنقبة، وأي وسام أغلى من هذا الوسام!.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: ما زال حديثنا حول نفقة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في سبيل الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عَذَّبَ المشركون بلالًا، وبلالٌ يقول: «أحدٌ أحدٌ» فمر به النبي ﷺ، فقال: «أحد، يعني الله تعالى، ينجيك»، ثم قال لأبي بكر: «إن بلالًا يعذب في

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة،ومسلم عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٦١).

(٢) «أسد الغابة» (٣/ ٣٢٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح.

الله»، فعرف أبو بكر الذي يريد رسول الله ﷺ، فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلًا من ذهب، ومضى به إلى أمية بن خلف، سيد بلال، فقال له: أتبيعني بلالًا؟ قال: نعم، فاشتراه فأعتقه، فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده، فنزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ أي: سيعطيه في الجنة ما يرضى[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مني مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يومًا - فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك إلى شيء أبدًا»[2].

أما موقف أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه العظيم في قصة الإسراء والمعراج، فلما كانت رحلة الإسراء والمعراج جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أسريَ به إلى المسجد الأقصى في الليلة الماضية ونحن نقطع أكباد الإبل إليها في شهر كامل، فقال أبوبكر: إن كان قد قال فقد صدّق. وفي رواية: وبادر الصِّدِّيق إلى التصديق وقال: إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدقه في بيت المقدس؟![3].

ولذلك يقال: إن أبا بكر سمي صديقًا من حادثة الإسراء والمعراج، لأن النبي ﷺ قال ليلة أسري به لجبريل: «إن قومي لا يصدقوني» فقال له جبريل: يصدقك أبوبكر وهو الصِّدِّيق.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف أن الله عز وجل أنزل اسم أبي بكر في السماء

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٠/ ٨٧ - ٨٠).
(٢) رواه الترمذي (٣٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني.
(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٠٨).

«الصِّدِّيق»[١].

عباد الله: ولأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه موقف عظيم ليلة الهجرة المباركة، فلقد اجتمع صناديد قريش في دار الندوة وقرروا قتل النبي ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة؛ فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه. وعلف راحلتين كانتا عندَه ورق السَّمر - وهو الخبط - أربعة أشهر.

ولما تم اتخاذ القرار الغاشم بقتل النبي ﷺ نزل إليه جبريل بوحي ربه -تبارك وتعالى- فأخبره بمؤامرة قريش، وأن الله قد أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة قائلًا: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه[٢].

وذهب النبي ﷺ في الهاجرة إلى أبي بكر رضي الله عنه ليبرم معه مراحل الهجرة.

قالت عائشة: بينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا - في ساعة لم يكن يأتينا فيها- فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء في هذه الساعة إلا لأمر!

قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك- بأبي أنت يا رسول الله- قال: «فإني قد أذن لي في الخروج».

فقال أبو بكر: الصحبة- بأبي أنت يا رسول الله- قال: رسول الله ﷺ: «نعم».

---

(١) قال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٧٩): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٨٢).

قال أبو بكر: فخذ- بأبي أنت يا رسول الله- إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: «بالثمن». قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز، وضعنا لهما سفرة في جراب. فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين[1].

وأوعز الرسول- عليه الصلاة والسلام - إلى علي بن أبي طالب في هذه الليلة الرهيبة أن يرتدي برده الذي ينام فيه وأن يتسجَّى به على سريره، وفي هجعة من الليل وغفلة من الحرس، إنسل الرسول - عليه الصلاة والسلام- من بيته إلى دار أبي بكر، ثم خرج الرجلان من خوخة في ظهرها إلى ثور إلى الغار الذي استودعته العناية مصير الرسالة الخاتمة، ومستقبل حضارة كاملة.

وكان أبو بكر قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من أخبار، وأمر عامر بن فهيرة (مولاه) أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، فكان عبد الله بن أبي بكر في قريش يسمع ما يأتمرون وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيقص عليهما ما علم، وكان عامر في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله من عندهم إلى مكة، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه - يخفي آثار قدميه- .

وتلك هي الحيطة البالغة، كما تفرضها الضرورات المعتادة على أي إنسان.

وانطلق مشركو مكة في آثار المهاجرين يرصدون الطرق، ويفتشون كل مهرب، وراحوا ينقبون جبال مكة وكهوفها، حتى وصلوا - في دأبهم - قريبًا من غار ثور، وأنصت الرسول ﷺ وصاحبه إلى أقدام المطاردين، تخفق إلى جوارهم فأخذ الروع أبا بكر، وهمس يحدث رسول الله ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، فقال الرسول- عليه الصلاة والسلام-: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما!»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٧)، ومسلم (٧/ ١٠٩).

وتدبروا معي كيف كان حال أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ أثناء الهجرة وكيف كان خوفه عليه.

روى أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى غار ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرة، وخلفه مرة، فسأله النبي ﷺ عن ذلك، فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك، ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبًا فَشَقَّ إزاره وسدها به وبقي منها اثنان فألقمها رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حِجْرِهِ ونام، فَلُدِغَ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال: «مالك يا أبا بكر؟» قال: لُدِغْتُ- فداك أبي وأمي-، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده[1].

يقول عمر رضي الله عنه ليلة من أبي بكر خير من آل عمر - يقصد ليلة الغار-.

فالهجرة حدث عظيم لا يُنسى أبدًا فهي لم تكن مجرد هروب من بلد إلى بلد آخر وإنما كانت خطوة لإقامة دولة للمسلمين يُمَكِّنُ فيها لدين الله -جل وعلا-.

اللهم اجعلنا من أنصار دينك ، واجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين،اللهم وفقنا لما تحب وترضى، اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم انصر الإسلام وأهله، واخذل الشرك وأهله، يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) انظر «مشكاة المصابيح»، و«مناقب أبي بكر» (٢/ ٥٥٦).

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: حديثنا في هذا اليوم في الخطبة الثالثة عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وسنبدأ بموقفه العظيم يوم بدر. لقد شهد أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وثبت معه ثباتًا لا نظير له.

ففي يوم بدر استشار رسول الله ﷺ أصحابه، فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأجاد، وكانت المعركة.

يقول علي رضي الله عنه أشجع الناس أبو بكر! إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يقوى إليه أحد من المشركين،

فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه[١].

وعن ابن سيرين، أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان يوم بدر مع المشركين، فلما أسلم قال: لأبيه: لقد أهدفت - أشرفت - إلى يوم بدر، فانصرفت عنك، ولم أقتلك، فقال أبو بكر: «لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك»[٢].

ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف. وهذه صورة عالية من الولاء والبراء. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

ولثبات أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ يوم بدر ما ثبت. عن أبي صالح الحنفي عن علي قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل مَلَكٌ عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد العنف[٣].

عباد الله: وكان الصِّدِّيق ﷺ من الذين استجابوا الله وللرسول ﷺ، فعن عائشة ﷺ: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٧٢] قالت لعروة: يا ابن اختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم؟» فانتدب منهم سبعون

---

(١) «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٤٦).

(٢) «تاريخ الخلفاء» (٣٦).

(٣) رواه أحمد(١/ ١٤٧)، والحاكم(٣/ ١٣٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأشار الذهبي إلى أنه على شرط مسلم.

رجلًا كان فيهم أبو بكر والزبير[١].

أما ثباته رضي الله عنه في باقي المشاهد، فقد قال الإمام ابن القيم -رحمه الله -: وثبت أبو بكر رضي الله عنه بثبوت الجبال يوم أحد حول رسول الله ﷺ يدافع.

وبعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني فزارة سنة سبع للهجرة بقيادة أبي بكر رضي الله عنه فوردت الماء، وغنمت، وسبت، وعادت سالمة.

وفي غزوة تبوك ساعة العسرة كانت راية المسلمين بيد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ويوم حنين أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغنهم شيئًا، وولوا مدبرين بعد أن كمن لهم أعداء الله في شعاب الوادي، وكان أول من ثبت حول رسول الله ﷺ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وأرضاه[٢].

أما وقوفه رضي الله عنه عند كتاب الله عز وجل فقد كان أبو بكر رضي الله عنه وقافًا عند كتاب الله عز وجل فلا يقدم شيئًا ولا يؤخره إلا إذا كان موافقا لأمر الله جل وعلا.

فعن عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، وفيه قالت: فلما أنزل الله براءتي، قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٢]. قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا»[٣].

وعن ابن أبي مليكة: قال سُئل أبو بكر الصدق رضي الله عنه عن آية في كتاب الله - عز وجل - قال: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، وأين أذهب وكيف أصنع إذا أنا

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨).
(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٣٦٩) ط. [مؤسسة الرسالة بيروت].
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٥٠).

قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله!»[١].

وعن ابن سيرين قال: «لم يكن أحدٌ أهيب بما لم يعلم من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلًا، ولا في السنة أثرًا فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله»[٢].

عباد الله: أما استخلاف الرسول ﷺ لأبي بكر من بعده، فعن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة للنبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتِ أبا بكر**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**إدعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»[٥].

ومن بين تلك الإشارات أن رسول الله ﷺ خلف أبا بكر في مرضه الذي مات فيه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «صلى رسول الله ﷺ خلف أبي بكر قاعدًا في مرضه الذي مات فيه»[٦].

عباد الله: إن الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلاقات التي تشير

---

(١) ذكره الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٧١) وقال: الأثر حسن.

(٢) الخبر في «مسند عبد بن حميد»، وقال العدوي: وهو صحيح رجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢١٧) ومسلم (٢٣٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢١٧)، ومسلم (٢٣٨٧).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٦٤،٣٦٦٣) وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٢٣٣).

(٦) رواه أحمد (٦/ ١٥٩) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

إلى قرب وقوعها.

وقد تم للمسلمين فتح مكة (أم القرى) في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تقر بالإسلام أو تعطي الجزية عن يد وهم صاغرون، وأرهب جيش العسرة الذي خرج به النبي ﷺ جحافل الروم حتى فروا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي ﷺ المتواصل وصحابته الكرام رضي الله عنهم فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ، فقد بَلَّغَ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على محجة بيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فكان النبي ﷺ يُعَرِّضُ بقرب أجله، فمن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «**يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري**»، فبكى معاذ جزعًا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا»[1].

ومن ذلك أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان، فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة، وكان جبريل يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة مرتين.

وخرج النبي ﷺ للحج في السنة العاشرة وقال: «**خذوا عني مناسككم، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، وطفق يودع الناس**»[2].

ونزل عليه بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن هذه الإشارات القوية ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي

(١) رواه أحمد عن معاذ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٢).
(٢) رواه مسلم (٨/ ١٧٢ - ١٩٤) الحج.

ﷺ وقال: «إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر! فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّرَ، فكان رسول الله هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا»[1].

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وجعل من بعده مصابيح الدجى من الصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

عباد الله: أما الحديث عن اللحظات الأخيرة من حياة الحبيب ﷺ فعن أنس رضي الله عنه: «أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف الستر من حجرة عائشة، فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن الرسول ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أَتِمُّوا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر»[2].

فانظر إلى أدب الصِّدِّيق كيف أورثه مقامه، والإمامة بعده فكان ذلك التأخر إلى خلفه، وقد أومأ: أن أثبت في مكانك»[3].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٨)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٦) وهو في الصحيحين من طرق أخرى.
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٨).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ عبدُ الرحمن وبيده سواك، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فتناولته، فاشتد عليه، قلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: « أن نعم» فليّنته، فأمَرّه وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده»[1].

وكان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: «**اللهم الرفيق الأعلى**».

تقول عائشة رضي الله عنها: «مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وأنا مسندته إلى صدري، فرأيته رفع يده أو إصبعه ثم قال: «**بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى**» فعلمت أنه لا يختارنا»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»[3].

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- : لما توفي ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دُهِشَ فخولط، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتُقل لسانه فلم يُطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بُعث إليه»[4].

عباد الله: من شاء أن يرى يقين أبي بكر في أحفل ساعاته، من شاء أن يرى اليقين العلوي الموصول بقيوم السموات والأرض، فلير هذا اليقين يوم دُعي الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فأجاب ورحل عن الحياة والأحياء، يومئذ تكشَّف هذا الجوهر. يقين لا يضعف، بل يتفوق، ولا يجزع، بل يحتشد، ولا ينوء تحت وقع الضربة، بل ينهض أبدًا رشيدًا ثابتًا ليحمل مسئولياته وتباعته.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٧٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٣).
(٣) رواه الترمذي (١٣/ ١٠٤)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل».
(٤) «لطائف المعارف» (١١٤،١١٣) باختصار.

وقف يقين أبي بكر يوم وفاة الرسول ﷺ وقفة ما كان يقدر عليها سواه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ مات، وأبو بكر؟ بالسنح - قال إسماعيل: تعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فيقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّلَهُ فقال: بأبي أنت، طبت حيًّا، وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج، فقال: أيها الحالف على رسلك- يقصد عمر- فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فنشج الناس يبكون. (أي بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يعرض في حلق الباكي من الغصة، وقيل: هو صوت معه توجع)[1].

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

وأن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعَقِرْتُ، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات»[2].

إذن يا خيل الله اركبي، ويا راية الله ارتفعي، ويا حملة هذه الراية قوموا، انهضوا، واصلوا رحلة الشمس المشرقة.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٤٥٤).

لقد فعل يقين أبي بكر في الصحابة ما فعل، واستقبلوا الأمر بالعزم الأيدِّ[١].

عباد الله: أما مبايعة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بالخلافة فبعد وفاة الحبيب ﷺ كادت أن تحدث فتنة عظيمة بين المهاجرين والأنصار على أمر الخلافة - مع أننا على يقين تام بأن أصحاب الحبيب ﷺ لا يبتغون بعملهم إلا وجه الله تعالى.

ومما حدث في سقيفة بني ساعدة أنه اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر (فتكلم أبلغ الناس) فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: والله لا نفعل. منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمرًا وأبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله[٢].

وعن ابن عباس قال: قال عمر: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتقدم قومًا فيهم أبو بكر[٣].

وعن أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد. جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهده إلى رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سَيَدْبُرُ أمرنا - يقول: يكون آخرنا- وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله

---

(١) «صلاح الأمة» د/ سيد حسين (٥/ ٨٩ - ٩٠) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام، وقال ابن كثير في «البداية»: إسناده صحيح.

ورسوله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا[١].

عباد الله: ثم تكلم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فإني قد وُلِّيت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فَقَوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله[٢] لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[٣].

عباد الله: في هذه الخطبة وضح الصِّدِّيق رضي الله عنه دستور عظيم للمسلمين، عليهم العمل به وبذلك يفلحوا، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره ، ومن ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه، .

اللهم انصر الإسلام وأهله! وأذل الشرك وأهله ، اللهم عليك بالصاليبين وسائر المشركين والكافرين، اللهم شتت شملهم ، وفرق جمعهم، واجعل الدائرة عليهم يا سميع الدعاء، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) «السيرة لابن هشام» (٤/ ٢٨٥).
(٢) أريح: أراحه: أرجعه حقه.
(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤٨) (٦/ ٣٠١) وقال: إسناده صحيح.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا في هذا اليوم بإذن الله في الخطبة الرابعة عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وكنا في الجمعة الماضية قد تحدثنا حول خطبته الأولى بعد أن ولي الخلافة رضي الله عنه، ومن بديع خطبه أيضًا ما ورد عن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر، فقال: «أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠]. اعلموا عباد الله، أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله

لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستضيئوا منه ليوم القيامة، وإنما خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله، أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مُهَلِ آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم، فإن أقومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، ألوحا[1]، النجاء النجاء، إن وراءكم طالبًا حثيثًا أمره سريع[2].

وخطب الصِّدِّيق في المسلمين فقال: «أيها الناس، استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط، إلا وأنا مقنع رأسي حياء من الله»[3].

أما الحديث عن الصور المشرقة من تواضع الصِّدِّيق رضي الله عنه ما أورد ابن الأثير بسنده في «أسد الغابة» عن أبي صالح الغفاري: أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدنية من الليل، فيستقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كُلاًّ يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصِّدِّيق الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة فقال عمر: أنت هو لعمري!.

وكان رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح (أغنام) دارنا، فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خُلُق كنت عليه، فكان يحلب لهم، [4].

وعن سعيد بن المسيَّب: أن أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمر يزيد ابن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا مشى أبو بكر

(١) ألوحا: الوَحَا: أي: السرعة.
(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٠٦ - ١٠٧).
(٣) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٢٠).
(٤) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٣).

مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثَنِيَّةَ الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان! فقال: إني احتسب خطاي هذه في سبيل الله.

أما عدله رضي الله عنه فمن ذلك ما نهديه لكل من ولي مر المسلمين شيئًا صغيرًا كان أو كبيرًا.

فمن عدله: أنه سوى بين رعيته في العطاء وقسمة المال، واعتبر أن سابقة بعضهم في الخيرات إنما يثاب عليها في الدار الآخرة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قسم أبي أول عام الفيء، فأعطى الحُرَّ عشرة، وأعطى المملوك عشرة، والمرأة عشرة، وأمها عشرة، ثم قسم في العام الثاني، فأعطاهم عشرين عشرين»[1].

وقال سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه: قدم مال في خلافة الصِّدِّيق، فكان أبو بكر يقسمه على الناس نُقرًا نُقر؛ فيصيب كل مائة إنسان كذا كذا، وكان يسوِّي بين الناس في القسم، الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير فيه سواء»[2].

لله در أبي بكر! من إمام عظيم متفوق لم تفلت منه مزية، ولم تغب عنه فضيلة، يقول هذه الكلمات المعجزات في مستهل حكمه، ينطق كل حرف منها بالحكمة والقسطاس.

لله درُّه! كم كان ولاؤه لتطبيق هدي نبيه ﷺ حرفيًا! حتى في الظروف التي تجيش فيها العواطف وهو من أرق الناس أفئدة.

لقد كتب عليه أن يبدأ خلافته بواقعة امتحن فيها ولاؤه للعدل وهدي نبيه امتحانًا عظيمًا، حين ذهبت إليه فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تسأله قطعة أرض باعتبارها ميراث أبيها ﷺ، فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث، ما تركناه صدقة**»[3]. إني والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ٣٢٥، ٣٢٦).

(٢) إسناده حسن لغيره: أخرجه ابن سعد (٣/ ٣١٢ - ٢١٣).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٨/ ٣٦٤)، وأصله في البخاري (٣٠٩٢، ٣٠٩٣).

ﷺ، يصنعه إلا صنعته، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ، وهو يعلم أن أولى الناس بالرعاية بنت حبه ورسوله ﷺ. فلله دره وهو يحمل إيمان العباقرة لا تثنيه عن عدله أرق الوشائج[1].

أما الحديث عن ورع الصِّدِّيق الذي يعجز القلم عن وصفه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه؟ فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه[2].

وأما رقة قلب الصِّدِّيق رضي الله عنه وبكاؤه؛ فعن أنس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ. ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[3].

وعن عائشة رضي الله عنها في حديث الهجرة الطويل، وفيه: ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه؛ نساء المشركين وأبنائهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن[4].

أما زهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في الدنيا وزينتها الفانية فعن زيد بن أرقم أن أبا بكر استسقى، فأتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه - فمه - بكى، وأبكى من حوله، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته،

(١) نقلا عن «ترطيب الأفواه» د/ سيد حسين (١/ ١١٠ - ١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤٢).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٤).
(٤) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ قال: كنت مع النبي ﷺ، وجعل يدفع عنه شيئًا، ويقول «إليك عني، إليك عني» ولم أر معه أحدًا فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئًا، ولا أرى معك أحدًا؟ قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بها فيها، فقلت لها: إليك عني، فتنحت وقالت: أما والله لئن انفلتَّ، مني لا ينفلت مني من بعدك» فخشيت أن تكون قد لحقتني، فذاك الذي أبكاني»[1].

أما الحديث عن بعث جيش أسامة رضي الله عنه فلقد ارتَدَّ بعد وفاة النبي ﷺ الكثير من قبائل العرب، بل وأصبح الصحابة رضي الله عنهم كما وصفهم عمار بن ياسر رضي الله عنه كغنم بلا راع، وصارت المدينة المنورة - على حسب تعبيره - أضيق على أهلها من الخاتم.

فبدأ الصِّدِّيق رضي الله عنه خلافته المباركة بإنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي أمر به النبي ﷺ قبل موته لتأديب قبائل قضاعة لموالاتهم للروم ضد جيش المسلمين.

قال ابن كثير-رحمه الله - : فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد، الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، حيث قتل زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، فيغيروا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف، فخيموا بها، وكان بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصِّدِّيق، فاستثناه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات عَظُم الخطب، واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة، وارتَدَّ من ارتَدَّ من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصِّدِّيق.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه الحاكم والبزار، وقال العراقي: إسناده جيد.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

عباد الله: ما زال حديثنا حول أحداث الردة وما نتج عنها، قال ابن كثير رحمه الله: ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت (جويثا) من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في «صحيح البخاري» عن ابن عباس، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، ولم يفروا ولا ارتدوا. والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصِّدِّيق أن لا ينفذ جيش أسامة، لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جُهِّزَ بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصِّدِّيق من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ. ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة، وآمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يومًا ويقال: سبعين يومًا، ثم أتوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة.

ثم خرج أبو بكر حتى أتى الجيش فأشخصهم وشيعهم، وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر.

فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن.

فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له،

وترفع عنه سبعمائة خطيئة، حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعينني بعمر، فافعل، فأذن له.

ووقف الصِّدِّيق رضي الله عنه يزود الجيش بخير الزاد، ويرسم له دستور الحرب الذي ما عرف التاريخ أعدل، ولا أطهر، ولا أشرف منه في غير الإسلام ووقف يقول لهم:

أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:

لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فَرَّغُوا أنفسهم له.

وانطلق جيش أسامة في أمان الله تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فإن انتصر الروم فقد كفونا القتال، وإن انتصر أسامة فقد ثبت الإسلام. وانتصر جيش أسامة بفضل الله فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام[1].

فتلك هي رحمة الإسلام بالكفار والمشركين حتى في الحروب التي لا تخضع لقوانين الإيمان والأخلاق. إنها صورة نهديها لكل من يقول: إن الإسلام لم ينتشر إلا بالعنف والإرهاب!

أما موقف الصِّدِّيق رضي الله عنه في حرب المرتدين؛ فقد قال الإمام الذهبي: «لما اشتهرت وفاة النبي- عليه الصلاة والسلام- بالنواحي، ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر لقتالهم، فأشار عليه عمر

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٦) بتصرف - نقلا من «أئمة الهدى» للشيخ محمد حسان وعوض الجزار - ط. [دار ابن رجب].

وغيره أن يفتر عن قتالهم، فقال: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه».

وهنا قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه: كيف نقاتلهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها، وحسابه على الله؟» فقال أبو بكر: والله لو منعوني «عناقًا»[1]، وفي رواية «عقالًا»[2] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

قال: عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[3].

وكان مما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله ﷺ: تألف الناس وارفق بهم.

فأجابه أبو بكر: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، أجبار في الجاهلية، وخوار في الإسلام! إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أو ينقص وأنا حي! أليس قد قال رسول الله ﷺ: «إلا بحقها؟» ومن حقها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي[4].

فكان موقفًا مباركًا مؤيدًا من الله تبارك وتعالى. وقيض الله عز وجل لهذا الدين رجلًا مباركا هو الصِّدِّيق.

فثبت ثباتًا عظيمًا في هذه الفتنة العظيمة، تمثلت فيه عظمة هذا الرجل من إيمان ويقين وفهم عميق لهذا الدين؛ فأيده الله بنصر من عنده.

فما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردة لبعض الناس فبعث

(١) العناق: الأنثى من ولد المعز.
(٢) العقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير.
(٣) رواه البخاري رقم (٧٢٨٤، ٧٢٨٥) ومسلم (٢٣٢).
(٤) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٣/ ٦٨).

الصِّدِّيق إليهم جيوشًا وأمراء يكونون عونًا لمن في تلك الناحية من المؤمنين، فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصِّدِّيق من هناك من المرتدين، ولله الحمد والمنة؛ وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مغانم كثيرة فيقوون بذلك على من هناك، يبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصِّدِّيق فينفقه في الناس، فيحصل لهم قوة أيضًا ويستعدون بها على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، ولم تنم لصديق الأمة عين حتى أرسل الجيوش الإسلامية يمينًا وشمالًا لتمهيد قواعد الإسلام، وقتال الطغاة من الأنام، حتى رُدَّ شارد الدين بعد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

وتوالت الانتصارات والفتوحات بفضل من الله رب الأرض والسموات، وتم القضاء على المرتدين، ودوخت جيوش المسلمين الفرس والروم، وأظهرت قوتهم وإمكاناتهم القتالية، فجزى الله الصِّدِّيق خير الجزاء يوم أن وقف في حروب الردة وحيدًا في بداية الأمر متوكلًا على الله حق التوكل، وموفقًا بنصر الله المؤزر. اللهم قيض لهذا الأمة قائدًا ربانيًا يقودهم إليك وإلى نصرة دينك، إنك سميع الدعاء، اللهم انصر الإسلام وأهله، واخذل الشرك وأهله، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه ومكنه في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينًا يا سميع الدعاء، وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الخامسة عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه إعلموا رحمكم الله أن الصِّدِّيق رضي الله عنه أول من جمع القرآن الكريم، فقد جهز أبو بكر رضي الله عنه جيشًا بقيادة خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة لمحاربة (مسيلمة الكذاب) عليه من الله ما يستحقه، فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله، وقتله. وقُتِل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة من حملة القرآن، قيل: سبعمائة، وقيل: أكثر وذلك في موقعة اليمامة، فبدأ التفكير في جمع القرآن قبل أن يُقتل الباقون.

ولنستمع القصة من كاتب وحي رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه[1]

يقول زيد: أرسل إلي أبو بكر الصِّدِّيق مقتل أهل اليمامة (أي: عقب مقتل اليمامة)، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟!.

قال عمر: هذا والله خير.

وفي رواية: يقول زيد: فقال لي أبو بكر: «إن هذا دعاني إلى أمر، وأنت كاتب الوحي فإن تك معه اتبعتكما، وإن توافقني لا أفعل» فاقتضى قول عمر فنفرت من ذلك، فقال عمر كلمة: وما عليكما لو فعلتما؟ قال: فنظرنا فقلنا: لا شيء والله ما علينا.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير.

لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللِّخاف[2]، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[التوبة:١٢٨]. حتى خاتمة براءة.

---

(١) «أئمة الهدى، ومصابيح الدجى» (ص٢٠٣: ٢٠٥) للشيخ/ محمد حسان، وعوض الجزار.

(٢) العُسب: هو جريد النخل. اللخاف: هي الحجارة الرقاق.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته - أي طوال حياته - ثم عند حفصة بنت عمر ﷺ (١).

أما استخلاف الصِّدِّيق لعمر ﷺ فلما دنا أجل الصِّدِّيق ﷺ وقد أكرمه الله - عز وجل - بالقضاء على فتنة المرتدين وكثرت الفتوحات الإسلامية في عهده وساق الله على يديه الخير الكثير للإسلام والمسلمين، فأحس أنه من الأفضل أن يستخلف رجلًا من بعده يكمل مسيرة الإصلاح ونشر الدعوة ويأخذ بأيدي الناس إلى جنة الرحمن - جل وعلا -.

ولا شك أن اختيار هذا الرجل قبل وفاة الصِّدِّيق ﷺ سيجنب المسلمين محنة الاختلاف على الخليفة القادم، ولقد كان الصِّدِّيق ﷺ يخشى أن يموت فيتورع عن هذا المنصب من هو أحق الناس به لزهده وورعه، ومن ثم فقد يتولى هذا المنصب من لا يستحقه فيكون بذلك قد ضيع الأمانة.

فرأى الصِّدِّيق ﷺ أنه لا بد من استخلاف رجل من بعده، وبدأ بالفعل يسأل الصحابة عن رأيهم في عمر، ولم يدر هذا الصحابي الجليل أن عمر ﷺ إنما كان يغلظ أحيانًا إذا خشي أن يتجرأ رجل على شخص رسول الله ﷺ أو على خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ وهنا جاء القرار الحاسم من الصِّدِّيق ﷺ فدعا عثمان بن عفان ﷺ وقال: أكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب. إني استخلفت عليكم.

ثم غشي عليه.

فكتب عثمان: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٨٦) في «فضائل القرآن».

فلما أفاق أبو بكر قال: اقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي.

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله.

وأقرها أبو بكر رضي الله عنه وأمره أن يخرج على الناس بالكتاب فبايعوه لمن فيه وقد علموا أنه عمر[1].

عباد الله: ولقد أوصى الصِّدِّيق رضي الله عنه بوصية غالية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، قال: لما حضر أبا بكر الصِّدِّيق الموت، دعا عمر، فقال له:

«اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملًا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملًا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحق غدًا أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي، فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تعجزه»[2].

عباد الله: لقد اشتهر أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بالفراسة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٤٩، ١٤٨)، وعند البيهقي (٨/ ١٤٩) بإسناد حسن.
(٢) «الحلية» لأبي نعيم (١/ ٣٦، ٣٧).

أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر بن الخطاب فاستخلفه. وصاحبة موسى التي قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، قال: وما رأيت من قوته؟ قالت: جاء البئر وعليه صخرة لا يُقِلّها كذا وكذا فرفعها.

قال: وما رأيت من أمانته؟ قالت: كنت أمشي أمامه، فجعلني خلفه، والعزيز تفرس في يوسف عليه السلام فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١] (١).

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المنافقين والكافرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وحان وقت رحيل الصِّدِّيق رضي الله عنه بعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية والفداء والعدل والإيثار.

نام خليفة رسول الله ﷺ على فراش الموت ليلحق بحبيبه وصاحبه رسول الله ﷺ في جنة الرحمن - جل وعلا - إخوانًا على سرر متقابلين.

عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بُدِئَ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يومًا باردًا فَحُمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه. وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي. فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقي بستانًا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٥) في «مصنفه»، والحاكم (٣/ ٩٠)، وصححه وأقره الذهبي

له[1]. فبعثنا بها إلى عمر. قالت: فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراءُ عن الفتى أهـلِـه إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر إلى كالغضبان، ثم قال: ليسَ كذلك يا أم المؤمنين، ولكن قول الله أصدق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[ق:١٩].

ثم قال: يا عائشة: إنه ليس أحد من أهلي أحب إلي منك، وقد كنت نَحَلْتُكِ حائطًا، وإن في نفسي منه شيئًا فرديه إلى الميراث.

قالت: نعم فرددته.

وقال رضي الله عنه: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح[1]، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر، وابرئي منهن، ففعلت، فلما جاء الرسولُ «عمرَ» بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض، ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[3].

وقال رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: إن عمر لم يَدَعْني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطي الذي بمكان كذا فيها، فلما توفي ذُكِرَ ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالا[4].

---

(١) الناضح: هو البعير الذي يسقى عليه.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٠٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات»(٣/ ١٤٦/ ١٤٦)، ورجاله ثقات.

(٤) «المنتظم» (٤/ ١٢٧) عن ابن سعد ورجاله ثقات.

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يومًا حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله ﷺ؟ قالت: في يوم الاثنين، قال: ما شاء إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفنتموه؟

قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص، ولا عمامة.

فقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردعُ زعفران أو مشقٍ فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين.

فقالت عائشة: يا أبت هذا خَلِقٌ- قديم: فقال: إن الحي أحق بالجديد، وإنما هو للمهلة. يعني فترة القبر[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين قال: فإن أنا مت من ليلتي فلا تنظروا بي الغد، فإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ وتوفي رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة. مُجمعٌ على ذلك في الروايات كلها، استوفى سن رسول الله ﷺ. وكان أبو بكر ولد بعد الفيل بثلاث سنين رضي الله عنه وغسلته زوجه أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك[2]، ودفن جانب رسول الله ﷺ حسب وصيته، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب.

ونزل قبره عمر، وعثمان، وطلحة، وابنه عبد الرحمن، وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ.

عباد الله: وهذه كلمة خالدة قالها «علي بن أبي طالب» بعد موت «الصِّدِّيق» رضي الله عنهما:

عن أسيد بن صفوان قال: لما قُبِضَ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وسُجِّي عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قُبِضَ رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٥٠) ورجاله ثقات.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٠٣، ٢٠٤) وإسناده صحيح.

قال: فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غَناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدَّقت رسول الله ﷺ حين كذَّبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صَدِّيقًا فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزُّمَر:٣٣].

واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمُنَزَّلُ عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا.

وكنت كما قال رسول الله: ضعيفًا في بدنك قويًا في أمر الله تعالى، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله تعالى، جليلًا في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد في ذلك عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم. شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت - والله - سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله عز وجل قضاءه، وسلمنا له أمره والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا،

كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[1].

وعن عمر رضي الله عنه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم، ليتني شعرة في صدر أبي بكر[2].

فرضي الله عن أبي بكر وعن سائر الصحابة أجمعين، وعنا معهم بفضلك ومنك وجودك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، اللهم ول أمور المسلمين خيارهم ولا توليها شرارهم، اللهم انصر الإسلام وأهله ، واخذل الشرك وأهله، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل الطاعة ويُذل فيه أهل المعصية، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٤٧٧ - ٤٧٩).

(٢) «المطالب العالية»(٤٢٩٢) والخبر في زيادات مسند مسدد ورجاله ثقات.